معاني ورمـوز الفـلكـلـور الديـنـي لزاويـة مـولاي الطيـب بعين تمـوشنت

The meanings and symbols of religious folklore for the Zaouia Moulay Tayeb in Ain Temouchent

يخلف الحاج [1]

[1] المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ، علم الانسان والتاريخ

h.ikhelef@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021-10-25 **تاريخ القبول**: 2021-12-24 **تاريخ النشر**: 2021-12-30

ملخص: يزخر موروثنا اللامادي في شقه التديني بعدة ظواهر اجتماعية، يتداخل فيها الديني بالثقافي، وتتجسد هذه الظواهر في مؤسسات، تحتضنها وتحميها من كل أمر أو حدث قد يهدد كيانها ووجودها، وكمثال عن هذه المؤسسة هي "الزاوية " بمفهومها السوسيو- ديني، باعتبارها مؤسسة حاضنة لفكر تديني وهو التصوف، يأخذ معنى التصوف في حضن هذه المؤسسة معاني ورموز، تنعكس في ممارسات يرتبط ويشترك فيها العنصر الديني بكل الممارسات الصادرة من المعتقدين لسلوكياته. فنجد مفهوم "البركة"، عبارة عن آلية تبريرية لسلوكيات المريد اتجاه شيخه، ولتأطير هذه السلطة الروحية للشيخ على أتباعه الاعتقاد ببركته. وترجمتها في شكل ممارسات كـ: "الزيارة" و"الوعدة" و"الطعم"، ونموذجا على ذلك طقس وعدة زاوية توات مولاي الطيب.

الكلمات المفتاحية: معاني؛ رموز؛ فولكلور؛ زاوية

Abstract : Our immaterial heritage, in its religious aspect, is replete with several social phenomena, in which religious and cultural overlap, and these phenomena are embodied in institutions that embrace and protect them from every matter or event that may threaten its existence and existence. My religion is Sufism.

The meaning of Sufism in the bosom of this institution takes on meanings and symbols, which are reflected in practices in which the religious element is ssociated and participates with all the practices issued by the believers in its behavior. We find the concept of "blessing", which is a justifying mechanism for the aspirant's behavior towards his sheikh, and to frame this spiritual authority of the sheikh on his followers to believe in his blessing. And translated it in the form of practices such as: ‘‘visit’’, ‘‘promise’’ and ‘‘taste’’, as an example of this is the ritual and several angles of Tawat Moulay Tayeb.**Keywords**: meanings; symbols; folklore; corner

المؤلف المرسل: يخلف الحاج ، **الإيميل**: authorC@ h.ikhelef@gmail.com

1– مقدمة:

لايزال المشهد السوسيو – الديني التقليدي بالجزائر حاضرا في المشهد الثقافي والاجتماعي، ومتجليا في عدة مظاهر تتداخل فيها المعاني والرموز الدينية بالثقافية ، لتكون بذلك حقلا غنيا بالرموز والمعاني. ولا يستطع الباحث اكتشاف واستنباط عمق هذا المعن،ى الا اذا دخل في منطق هذه الجماعة متسلحا بأدوات علمية ومنهجية، تمكنه من مجانبة الذاتية ومصاحبة الموضوعية ولو بأجزاء منها.

ان ثقافتنا الشعبية في مجتمعاتنا المحلية لازالت لم تنل الحظ الوافر من الدراسة والاهتمام بها من قبل الباحثين، لدى يهتم الانثروبولوجيون الى تسليط الضوء على هذه الظواهر المحلية. وكنموذج عن هذه الظواهر ما يعرف بالتصوف الشعبي حسب المفهوم البيركي " جاك بيرك" (rachid BELLIL, 2003,p :99) ، فهو حقل غني بمعاني وتصورات وممارسات تميزه عن غيره، وتتجلى هذه المعاني في مؤسسة منتجة لها وهي الزاوية. فالزاوية مؤسسة اجتماعية دينية تقليدية النشأة، نتاج لحركية ثقافية واجتماعية ميزت المجتمعات المغاربية والجزائر بالخصوص منذ القرن الثالث عشر الميلادي.(Kamal FILALI ,1997p : 19).

يعرف ويشهد مفهوم الديني في وسط الزاوية معنى غير المعنى الديني المتواجد في مؤسسات الدين الرسمي (المساجد)، فالمساجد يشهد شكلها الديني نوعا من النمطية السلوكية والتي تقتصره في أداء فرائض العبادة، اما في الزوايا فان الامر يختلف، اذ تكون هذه المؤسسة التدينية فضاءا لممارسة العبادة المفروضة، الى جانب الالتزام بشعائر الطريقة المتبعة جنبا الى جنب، ومن هنا نلاحظ ان الزاوية اوسع مجالا من جانب الممارسات الرمزية من المسجد، الذي يكون في ستاتيكا شبه دائمة، اما الزوايا فهي ديناميكية الانتاج، بفاعليها الذين يجدون فيها ملاذا للتعبير عن هويتهم التدينية ،

التي تميزهم عن باقي الجماعات الدينية الاخرى. وكمثال عن هذا المشهد نتخذ من زاوية توات والتي تتبع الطريقة الطيبية منهجا تصوفيا لها، محور دراستنا لنبين معاني الهوية الدينية لهذه الجماعة والطريقة الصوفية، ومدى التداخلات الرمزية التي تساهم في انتاج المعنى الوجودي والروحي لهذه الجماعة. وتتجلى معاني هذه الرموز في تصورات وتمثلات هذه الجماعة لطريقة تدينهم، بالإضافة الى ممارساتهم التي تميزهم عن باقي الجماعات التدينية المنضوية تحت لواء التصوف الشعبي.

اذن فمن خلال هذا، ما المعنى التديني لهذه الجماعة (توات)، وما هي التأويلات المرتبطة بها، والتي تتجلى في شكل ممارسات ورموز ؟

اعتمدت الدراسة على المنهج الكيفي الذي يستند لدراسة جماعة مصغرة من الافراد، (موريس انجرس، 1997، ص: 670) باعتباره المنهج المناسب للمقاربة الانثروبولوجية، والتي تهتم بدراسة المجموعات الدينية المنغلقة على ذاتها بشكل نسبي، واستعانة الدراسة بالتحديد لمنهج الوصف الكثيف، حيث يحاول البحث رصد معطيات المحيط الثقافي والاجتماعي مع تقصي الجزئيات، و الرجوع الى الاماكن والمواقف والمناقشات والمؤسسات والاشخاص باستمرار وتكرار، وهذا ما يساعد على الشعور بأهمية جزئيات لا تظهر من خلال المسح السطحي والعابر، ولا تظهر ايضا من خلال المسح المبرمج .(كليفورد غيرتز، 1998، ص:10). ومن نظرة فسيفسائية ميكروسكوبية (كليفورد غيرتز، 1992، ص: 13). و ارتكزت ادوات البحث على الملاحظة المباشرة لطقوس الجماعة التدينية، باستعمال المقابلة مع بعض شيوخ الطريقة من زاوية عين تموشنت او من الزوايا سعيدة ووهران. واما عن عينة الدراسة فهي شملت كل المريدين وأحباب ومقدمي وشيوخ الطريقة الطيبية، مع اختيار الفرد الذي يملك القدرة لاستجوابه ويملك رصيدا معرفيا عن تاريخ الزاوية، ويملك ثقافة في مجال طريقته الصوفية.

أما عن اسباب اختيار الموضوع، فيرجع سببها الذاتي الى كون تأثير الظاهرة (موسم وعدة توات) على سكان مدينة عين تموشنت، لتصبح في هذه الفترة من السنة مركز الحدث، اي تثير جلب

اهتمام كل ساكنة المدينة. وعن السبب الموضوعي، فهو البحث عن التفسير العلمي لظواهر تبدو هامشية (طقوس اللعب بالبارود)، وارتباطه بنسق ديني يجعل منه موضوعا انثروبولوجيا شيقا.

بنيت فرضيات البحث كما يلي:

- يشكل الفلكلور مركز الحدث الديني، وهو الذي يحمل في ثناياه الرأسمال الرمزي للطريقة وفي التأثير على المريدين.
- تقديم سيمولوجي للطقوس و الشعائر و الممارسات المرتبطة بالوعدة.
- اظهار قيمة الخصوصية الفلكلورية الدينية .

كما ذكرنا سابقا، فان المنهج المتبع في هذا البحث، هو المنهج الأونتروبولوجي الذي يعتمد على العمل الميداني، لينتهي بنموذج نظري تبنيه المعرفة المتبادلة بين الباحث والمبحوث.(فراح زينب ، 2010-2011، ص: 27). وتوزع البحث الميداني للدراسة بين مناسبتي الوعدة السنوية، الوعدة الاولى لسنة 2017 والوعدة الثانية لسنة 2018، وسايرت الدراسة كل مراحل اعداد الوعدة قبل انطلاقها الى نهايتها من كل سنة ، أي قرابة شهر من الزمن لكل موسم.

2. الموقع الجغرافي لزاوية توات مولاي الطيب بمدينة عين تموشنت:

تقع زاوية توات مولاي الطيب في حي يقع غرب مدينة عين تموشنت، وكان يعرف هذا الحي في العهد الاستعماري "بالحي العربي"، لاستقرار الجزائريين فيه، وهي لا تبعد عن المسجد العتيق بالمدينة سوى عشرات الامتار فقط، وتبعد عن الزاوية التيجانية بحوالي خمسين مترا تقريبا، فتموقعها في هذا الوسط منذ ما يقارب القرنين من الزمن، ترسخت في الذاكرة الجماعية لسكان المدينة. وهي حاليا عبارة عن مسكن تقدر مساحته 100م^2 أو أقل، وتتكون من طابق أرضي، يضم دورة المياه والمطبخ، والطابق الأول يضم قاعة كبيرة مخصصة للصلاة وللاجتماع، وطابقها الثاني هو السطح.

3. أصول الطريقة الطيبية:

تعود أصول الطرية الطيبية الى الطريقة الشاذلية الجازولية، أسسها الشيخ أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن موسى الشريف الحسني العلمي الوزاني، وهو المؤسس للزاوية الوزانية بالمغرب خلال أواسط القرن 11هـ/ ق17م. ولد بقرية تازروت من حوز جبل العلم سنة 1005هـ/1596م ونشأ بها وتلقى المبادئ الابتدائية للتعليم بنفس القرية. ليسافر بعدها الى تطوان وفاس، لأجل طلب ونيل الدرجات العلى من طلب العلم. فتوجت أسفاره ورحلاته في طلب العلم ليصبح عالما في العلوم الدينية، وسلك طريق القوم، على يد الشيخ سيدي علي بن أحمد الصرصري وإليه انتسب في الطريقة، ثم على يد الشيخ سيدي محمد بن عطية السلوي الفاسي بفاس وتوفي بوزان في 12 شعبان سنة 1089هـ/28 سبتمبر 1678م.(محمد بن الطيب القادري، 1982، ص: 241). ومن كرامات الشيخ، انه عاش فقيرا بل شديد الفقر اذ لا يجد ما يسد رمقه اليومي، وعند زواجه لم يجد ما يقدمه مهرا لزوجته، الا ان جاءه المهر عن طريق الكرامة الصوفية. (ابو القاسم سعد الله،، 1998، ص: 515).

وتحمل الطريقة الطيبية اسمها نسبة الى الابن الثالث للشيخ عبد الله الشريف، وهو الشيخ طيب الذي توسعت في عهده الزاوية وعرفت ازدهارا كبيرا ونسب اسم الطريقة له (الطيبية) (ابو القاسم سعد الله،، 1998، ص: 515). ويحدثنا المكناسي ا أن الشيخ سيدي أحمد بن الطيب الوزاني كان «هلالاً ساطعاً، وبرهاناً لائحاً قاطعاً، وارثاً لتلك المحاسن والأسرار، مغترفاً من بحر معارف السادات الأبرار، سقاه الله من بحر مدد جده سيد البشر صلى الله عليه وسلم وصحابته الأخيار، وكان...جبل النور وذروته، وكعبة الصلاح ومَرْوته، من فحول أرباب الطريقة، تُشد إليه الرحال، وتأتيه أعيان الأعيان من أقطار البلدان...، عارفاً بأمور التربية، متخلقاً بالأخلاق المرضية، محافظاً على السنة، خالياً من الدعوة، متبرئا من الحول والقوة»، (أحمد بن خالد الناصري، 1956، ص: 85).

واساس ذكر الطريقة الطيبية يرتكز على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا يكررون الصلاة على النبي مئة واربعة وعشرون الف مرة في اليوم والليلة. (أحمد بن خالد الناصري، 1956، ص: 85).

يرجح الدكتور ابو القاسم سعد الله دخول الطيبية الى الجزائر، في عهد عبد الله الشريف الوزاني، وانتشرت في غرب الجزائر عن طريق مريدي الطريقة، الذين كانوا يزورون المغرب في هذه الفترة.

ويضيف كوبولاني قائلا: "ان الطريقة الطيبية من فروع الطريقة الشاذلية، ويعود فضل تأسيسها للشيخين مولاي عبد الله بن الشريف بن ابراهيم، وشيخها الثاني هو مولاي الطيب والتي تحمل اسمه. وتضم الطريقة زاويتين واحدة بعين تموشنت والثانية بالرمشي وكلاهما تابعتين لنفس الزاوية الام لشيخها مولاي العربي بن الحاج عبد السلام، وتضم زاوية عين تموشنت اثنين مقدمين و(70) خوان، وزاوية الرمشي بها ثلاثة مقدمين و(124) خوان (Octave depont Xavier coppolani, 1897, p: 488.)

4. الرابطة الصوفية للزاوية توات مولاي الطيب بعين تموشنت:

تأسست الزاوية الطيبية بعين تموشنت في بداية القرن التاسع عشر في سنة 1815م، (حسب رواية أحد القائمين الحاليين للزاوية)، وهي من اقدم الزوايا بالغرب الجزائري وفي الجزائر عامة (باعتراف مختلف المقدمين المشاركين في الوعدة)، وكانت نقطة عبور بين سكان الجنوب والشمال، ومكان للراحة المريدين القادمين من الجنوب الجزائري، وتعود ظروف تأسيس الزاوية حسب الموروث الشفهي المتداول بين شيوخ الزاوية، الى هجرة عدد من سكان "قورارة" (منطقة أدرار حاليا)، الى الشمال قصد البحث عن فرص عمل، فكانوا يستقرون بمكان تواجد الزاوية حاليا، طيلة تواجدهم بالمدينة الى غاية عودتهم الى الصحراء. فأصبح هذا المكان مقصدا لمريدي الطريقة "قورارة" القادمين الى مدينة عين تموشنت، واستقرت فيه بعض العائلات الى اليوم، ولتصبح جزءا من النسيج الاجتماعي لسكان المدينة اليوم. (ومصدر هذا السرد التاريخي يعود لشهادة المريدين، المنقولة شفويا من جيل لآخر).

وقد تحصل البحث على تواريخ التقديم في الزاوية من طرف مقدم الزاوية، وتداول على التقديم في الزاوية كصنف سلالي (ديل اكلمان، 2015، ص: 292) منذ التأسيس الى يومنا هذا سبعة مقدمين وهم:

- ✓ اول مقدم هو: "سي عبد المالك احمد" 1815-1870.
- ✓ المقدم الثاني هو: "سي عبد الكريم مسعود" 1870-1945.
- ✓ والمقدم الثالث هو: " سي مولاي احمد" 1945-1969.
- ✓ المقدم الرابع هو: "سي طالب رمضان سرقمة" 1969-1995.
- ✓ والمقدم الخامس هو : "بونعامة عبد الله" من سنة 1995- 2004.
- ✓ والمقدم السادس هو : "بلحامي عبد القادر" من سنة 2004- 2011.
- ✓ والمقدم السابع هو " عبد المالك يونس"، من سنة 2011 - الى غاية يومنا هذا.

يخضع رجل الزاوية الى ارادة شيخه، الذي يسيطر على ارادة مريديه، (عبد الله حمودي،2000، ص: 112). وهذا ما يفسر اصرار شيوخ الطريقة على عدم ترك الفراغ لمكانة الشيخ، حتى لا ينعكس هذا الفراغ على حياة المريد.

وعملية استمرارية التداول على التقديم تؤكد، صرامة وانضباط وتمسك مريدي الزاوية بطريقتهم الصوفية ووعيهم بأهمية صون والحفاظ على موروثهم التديني والذي يربطهم بالأجداد ويحدد هويتهم وخصوصيتهم التدينية. ونلاحظ من خلال هذه الكرونولوجيا الزمنية، حقبة تاريخية تمتد الى اكثر من قرنين من الزمن، حافظت هذه الزاوية من خلالها على وجودها وديمومتها ، على اختلاف المراحل السياسية المختلفة والتي شهدتها الجزائر عامة خلال هذه الحقبة التاريخية، والتي كانت ميزتها واغلب احداثها، صدمة الاستدمار الفرنسي، الذي سعى لاقتلاع جذور هويتنا وارتباطنا بالدين الاسلامي ببعده التصوفي.

وترتكز تعاليم الطريقة الطيبية بزاوية توات على:

- حب الله وحب الرسول.
- وتبجيل أولياء الله الصالحين من أتباع الطريقة أو غيرهم.
- اصلاح ذات البين.
- والامر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- تلقين صغار أبناء الطريقة وغيرهم من جيران الزاوية، تعاليم الدين الاسلامي.
- وحسن المعاملة.
- التقدير والاحترام للمشايخ الطريقة وغيرهم.
- التأدب في المجالس مع الكبار والصغار.

وبالموازاة، تقوم "الجمعية الولائية الفلكلورية توات"، بتمثيل الزاوية من الجانب الاداري مع مختلف الهيئات الادارية، عند استدعاءها في مختلف المناسبات الوطنية وعند الزيارات الرسمية.

5. الفلكلـور التّديني:

ان من بركة الزاوية المدروسة هو، فولكلورها الحامل في طياته كل معاني التدين، فكرامة الطريقة تتجسد فيه، فبركة الشيخ هي الكرامات وهي امر خارق للعادة، يتمتع بها الشيخ، وعموم الناس يبحثون عن هذا الجانب الخارق، ليتحول الى قاعدة زبونية واسعة. (رحال بوبريك،1999 ص: 85).

ان أكثر ما يميز هذه الطريقة بالجزائر والجهة الغربية من الوطن، هو التعبير والايحاءات التي تجمع في الرقص والغناء الذي يرافق الاحتفاليات الطقوسية للطريقة الطيبية، علما أن فرق الطيبية في الصحراء لا تستعمل البارود والبنادق "لمكحلة" في أداءها الفلكلوري، بل تعتمد على التصفيق بالأيدي، فمن أين جاء استعمال البنادق واطلاق البارود، في احتفاليات الفرق الطيبية بالغرب الجزائري عامة وفرقة توات بعين تموشنت خاصة؟

حسب ما أكده لنا مقدم زاوية سعيدة، يرافق تأسيس استعمال "لمكحلة" في الاحتفاليات الطيبية بالغرب الجزائري الى اسطورة تقول: قدوم "مولاي عبد السلام" أخ "مولاي الطيب " من المغرب الى مدينة سعيدة في اواخر القرن التاسع عشر أو بداية القرن العشرين، ضيفًا على السيد ولد "السعيدية ابن الأزرق" يدعي "بابور القوراري" مقدم الزاوية بسعيدة آنذاك. فمن كثرة وشدة فرحه بقدوم أخ "مولاي الطيب" اليه، كانت له "مكحلتين"، واحدة للشيخ "بوفادي الحاج محمد"، والثانية للشيخ "محمودي مصطفى". فناداهما للإطلاق البارود، ولمرافقة المريدين المستقبلين للأخ "مولاي الطيب" بالمدائح والاهازيج الطيبية. فأصبحت هذه عادة كل الفرق الطيبية بالغرب الجزائري، في استعمال "لمكحلة" للوعدة السنوية التي تقام على شرف مولاي الطيب الى اليوم .

عرفت سنوات التسعينات جمودا للاحتفالات الزاوية، ومس هذا الجمود التجمعات السنوية لمريدي الطريقة عبر مختلف مناطق الوطن، بالإضافة الى توقيف استعمال البارود و"لمكحلة" أو مصادرتها نظرا لخصوصية الوضع الأمني آنذاك. فنقص وانحصر نشاطهم في هذه الفترة وكاد يختفي التراث الفلكلوري من المشاهد الاحتفالية للطريقة الطيبية. أصبح النظر للطرقيين كدين خارج القانون (سوسي اندزيان، 2001،ص: 17). الا ان استتب الوضع الأمني في بداية الألفية وبدأت الفرق الطيبية باسترجاع رموزها ومكوناتها التدينية. فعاودت زوايا الطيبية انشاء فرقها الفلكلورية، من أجل بعث نشاطها التديني من جديد، فمعروف عن الزوايا قدرتها على التأقلم مع مختلف الظروف السوسيو- سياسية وتجاوزها لمختلف الازمات بصمت ومسايرة لمقتضيات الوقت الراهن. (نجيب مهتدي، 1999، ص: 115).

اخذ مفهوم الفلكلور يطلق على كل الاغاني التراثية، ارتبطت بطريقة دينية او لم ترتبط مواضيع غناءها بطريقة دينية. فترسخ في الذاكرة الجماعية مفهوم الفلكلور، وتناست هذه الذاكرة الجماعية ان اصل هذه الاغاني يعود لبعض الطرق الصوفية كالطيبية والطريقة العيساوية، واعضاء هذه الفرق هم مريدو الطريقة الطيبية.

6. الفرقة الفلكلورية عند الطيبية:

استخلص البحث من خلال الملاحظة المباشرة لموضوعنا وهذا ما أكده لنا مبحوثينا، أن الفرقة الفلكلورية لتوات تضم عشرون عضوا، يترأسهم المقدم، ويكلف نائبه "الشاوش" ، الذي يقوم بمهمة الاتصال بين "لمقدم" واعضاء الفرقة، وهو المسؤول عن توزيع البارود لأعضاء الفرقة بالتساوي، وهو الذي يحدد لباس الفرقة، المتكون من سروال وقميص أبيضين، وعباءة وعمامة لتغطية الرأس. ولكل فرقة لباسها الخاص بها ولونها. بالإضافة لدور "شاوش" خارج الجماعة، من خلال تكفله بالإعلان والتشهير عن تاريخ قيام الوعدة في المدينة.

وتتوزع الآلات الموسيقية المستعملة في الفرق الطيبية ما بين:

- **الرباع**: وهو آلة ايقاعية كبيرة الحجم، تخرج صوتا حادا.
- **تبقال**: وهو كذلك آلة ايقاعية، لكنه يخرج صوتا واحدا وأقل حدة من رباع.
- **اقلال**: وهو يشبه الدربوكة، لكنه أكبر حجما منها.
- **زماريت**: وهو المزمار .

ويضيف محدثنا على الآلات الموسيقية المستعملة، قد يضاف "البندير" عند حاجة كل فرقة، وهناك من يستغني عن استعماله، ولكل آلة صوت مميز، وفي اتحاد جميع المخرجات الصوتية لهذه الآلات، تصدر صوتا متناغما ومتجانسا فيم بينهم.

بالإضافة الى هذا، يتميز العضو او المريد الطيبي في الفرقة الفلكلورية بإضافات أخرى توحي على أنه يتجهز لخوض حرب، ولا توحي على أنه سيقدم على التعبير الايحائي، من خلال الغناء والرقص، ونجد هذه الاضافات أو الاكسسوارات المرتبطة أساسا بالمكحلة والبارود، كما يلي:

- **المُكحلة**: وتسمى أيضا المكحالة والجعبة وهي بندقية مصنوعة من مقبض، وماصورة وزناد، فمنها القديمة وتسمى (ساق الغزال).

- **التهليل:** وهو ما يشبه التميمة به أدعية، وقصيدة دليل الخبراء يحملها الفارس في جيرة صغيرة من الجلد مطرزة، موصولة بحمالة مصنوعة من خيوط الحرير، توضع على الكتف اليمنى وتسبل إلى الجهة اليسرى فوق لباس القاط أو العباءة.
- **الزدام:** ويسمى بالتزدام، محفظة خاصة بالنقود مصنوعة من الجلد المطرز، يحملها الفارس بجيبه الأيمن من القاط (الله يجعلهم في الجيوب ولا يجعلهم في القلوب أي الدراهم).
- **حاملة البارود:** وهي قارورة من المعدن يوضع فيها البارود أو ما يسمى بالكحيلي.

➢ **الأداء:**

تجتمع الفرق الفلكلورية الا في المناسبات الكبرى كالوعدة أو الزيارة أو "العشا" أي مأدبة عشاء، يبدأ تكوين الدائرة عن طريق تلاحق واتباع كل عضو من الفرقة للذي يسبقه، وهم يتلون بأداء جماعي بأبيات شعرية، وتسمى هذه الأبيات الشعرية ب: "الصيغة". (وطذا ما لاحظته الدراسة خلال البحث الميداني)

وفي البداية يستهلون غناءهم بصيغة الدخول، من خلال ترديدها مع ايقاع "الزمار والبندير"، وعند التحاق آخر عضو من الفرقة بالمجموعة أو "دارة" أي الدائرة، ينقسمون الى مجموعتين بحيث تشكل كل مجموعة صفا، ويتقابل الصفان، مرددين أغانيهم، فيقول صف الجزأ الاول من "صيغة" أي البيت الشعري، ويرد عليه الصف المقابل بإتمام الجزأ الثاني من الصيغة، ويكون اداءهم وقوفا، وكل صف يقترب ذهابا من الصف الآخر وعند التقاءهم يعودون الى نقطة الانطلاق وتبقى تؤدى هذه الصيغة بهذا الشكل، وتطول مدة هذه الصيغة الى غاية بداية تكوين الدائرة وهي المرحلة الثانية.

وفي المرحلة الثانية يدخل "لخراج" وهو قائد المجموعة، وسط الدائرة مع "ركايز" وهم اربعة الى خمسة أعضاء من الفرقة، ويغنون ويرددون صيغة اخرى تكون اقصر من الصيغة الاولى، وتؤدى في شكل دائري، ويقول النصف الاول صيغة ويرد عليه النصف الثاني ما تبقى من الصيغة. وبعدها ينسحب ركايز ويتوسط "لخراج" الدائرة لوحده، معلنا عن بداية المرحلة الاخيرة من هذا العرض الفلكلوري، وكل أعضاء الفرقة دون

استثناء يرتكزون في تأدية رقصاتهم على الرجل اليمنى دون اليسرى، ومن كان يساريا فيمنع من المشاركة في الفرقة الفلكلورية.

وفي المرحلة الثالثة، وهي الأخيرة، تتسارع وتيرة الايقاع وتقتصر الصيغة، ويصبح جميع أعضاء الفرقة في انتظار اشارة "لخراج" للإعلان على اطلاق النار في طلقة واحدة. ولا يسمح لأي كان أن يكون "خراج"، بل "لخراج" هو من احفاد شيوخ الطريقة الطيبية ومن كان اجداده "خراج". ف"الخراج" عند الطيبية أصل ووظيفة تتخذ صفة الشرف والاصالة والولاء للطريقة ابا عن جد. ويسمح لمن ليسوا من ابناء توات للعب والانضمام للطريقة لكن دون نيل درجة ومرتبة "لخراج". فهو التسامح مع الاخر والذي لا يقاسمهم الاصل اي "توات" ولكن في حدود ما تنص عليه نصوص الطريقة الطيبية.

يحدث وان يتخلف عضو او اكثر عن موعد الاطلاق الجماعي للبارود، وقد لا يلاحظ هذا الجمهور المتتبع له، لكن "لخراج" يلاحظه، ويستدعى الى داخل الزاوية مع المقدم وكبار الشيوخ من تأخر عن موعد الطلق الجماعي للبارود، ليوبخ ويتعرض الى عقوبة تتمثل في دفعه لمقابل مالي، يقدر قيمته شراء الشاي والسكر. (حسب ما ذكره لنا المقدمين المشاركين في الوعدة).

ويقيم اداء عضو الفرقة الفلكلورية للطريقة الطيبية حسب انسجامه مع الجماعة، في حفظه الجيد لصيغة الغنائية، ويحاسب على مدى احترامه وانضباطه في القرص اي الطلق الجماعي للبارود وعدم الخروج عنه.

- **الصيغـة:**

ودائما حسب المبحوث الذي أكد لنا أن الصيغة هي، أبيات وكلمات القصيدة المؤداة، ولكل مناسبة صيغة خاصة بها، وتنقسم الصيغة، الى ثلاث اجزاء:

- **صيغة البداية:** وتكون طويلة ، الشطر الاول: "يا سامع لدعى ربي تقبل"، ويجيبه الصف المقابل، الشطر الثاني، "زورا عند لحباب لي نويهم نوصل"، بمعنى أن يتقبل الله دعاءنا للوصول الى الأحباب أي مريدي الطريقة.
- **صيغة الوسط:** وتكون أقل من الاولى من حيث الاداء ومن حيث طول البيت الشعري، مثل: "محمد يا لعشيق " صلو عليه وزيد"
- **صيغة الختام:** وهي الصيغة الاكثر اختصارا من سابقتها. مثلا: هي "نوضي بكي" " والشطر الثاني: " اعيني "

والصيغة تكون في البداية طويلة من حيث الاداء، ثم تختصر في وسط الاداء وفي نهاية العرض يرفع من الريتم بداية عن اعلان نهاية الاداء والاستعداد للإطلاق الجماعي للبارود. مثلا صيغة استقبال الضيوف:

يقول الشطر الاول : "بسم الله هي مفتاح الباب داخل بيها "، ويجيبه الصف المقابل له بالشطر الثاني قائلا : " وفي لبلاد نسال على لحباب ولي فيها". ومثال ثاني عن صيغة اخرى في المحبة يقول : " المحبة لي ربوها لبات، شدو فيها" اي التشبت في المحبة التي زرعها اباءنا فينا، ونقلها من جيل لجيل اخر، وهي تكريس لتعاليم الطريقة الطيبية في المحبة بين الناس. وصيغة اخرى في تمجيد شيوخ واولياء الطريقة الطيبية: " سدي احمد بن موسى وولادو ، الشيخ مولاي الطيب شادين ورادو" اي اننا احفاد الطريقة الطيبية ملتزمون بورد الشيخ مولاي الطيب. وصيغة أخرى في رضى الوالدين يقول الشطر الاول :"رضاية الوالدين"، والشطر الثاني: "هما تاج لعمامة"، وهي صيغة قصيرة، تستعمل في المرحلة الأخيرة من العرض الفلكلوري، وهي بمثابة منبه للجماعة ببداية "لخروج" أي الاستعداد لطلق البارود، فتتوسع الدائرة ويتوسطهم "لخراج" الذي يعطي اشارة الطلق بعد تأكده من ان جميع اعضاء الفرقة منتبهين ومركزين معه. ويتواصل معهم بالإشارة، كان يرمي البندقية ثلاث مرات في السماء، وفي الثالثة يطلق النار مباشرة عند نزولها بيده. (وكل هذا لاحظته الدراسة خلال تتبع مجريات البحث).

7. طقس الوعدة:

خصوصية القائمين على الزاوية الطيبية بعين تموشنت، بكونهم ينحدرون من منطقة توات بالجنوب الغربي الجزائري، استقروا بمنطقة عين تموشنت منذ عدة قرون، لكنهم حافظوا على ممارساتهم الطقوسية المرتبطة بالطريقة الطيبية والتي جاءوا بها، وكانوا اول من ادخل هذه الطريقة الصوفية لعين تموشنت.

وترتكز الوعدة عند الطيبية على ثلاثة عناصر وهي: البارود، والحضرة، والصارة، ومعنى الصارة هي اللعب بالعصي، ولكنها اختفت من مشهد الوعدة اليوم بعين تموشنت.

(حسب ما لاحظ البحث)، شارك في وعدة زاوية توات في سنة 2018 ، سبعة عشرة فرقة قادمة من مختلف مناطق الوطن، ويتراوح عدد متوسط الفرقة ثلاثون عضوا. وعدد الفرق المشاركة يتغير من سنة الى أخرى، فقد يزيد أو ينقص، على حسب الظروف المادية لكل فرقة تود المشاركة في مثل هذه المواسم. وجاءت الفرق المشاركة من، الصحراء: ولاية ادرار، بشار، البيض، سعيدة، المشرية، المحمدية، مستغانم، وهران، وقد تشارك مدينة بفرقة او اكثر.

تمر الوعدة بعدة مراحل وأهمها هي:

❖ **عملية التحضير والتجهيز:**

جرت وقائع الوعدة المدروسة بتاريخ : 16-17 أوت 2018، وتدوم الوعدة حاليا يومين، وكانت في الماضي تقام لمدة سبعة ليالي وثمانية أيام، يبدأ التحضير للوعدة أسابيع قبل الوعد المحدد، وتسمى هذه الفترة بفترة التحضير، وتتمثل في جمع المال من المريدين والمحبين ومن المحسنين كل حسب استطاعته، كما يقوم الشاوش بالإعلان والاشهار عن موعد الوعدة وتاريخ انعقادها ومكان

وقوعها، ويذبح عجل على شرف الفرق المشاركة والمدعوين وثمن العجل هو من مجموع أموال المحسنين المتبرعين بها، وحضرنا لعملية الذبح يومين قبل موعد الوعدة. وتتميز هذه الفترة بالتنسيق الكبير بين المريدين ولمقدم والاحباب، لسد كل نقص يتعلق بالتموين أو العتاد أو البارود، لأن عملية الحصول على البارود تكون من طرف فرق الدرك الوطني، بعد استوفاء كل الشروط المطلوبة، وتخطي المراحل الادارية المتعلقة بطلب البارود. وتعتبر عملية التحضير والتجهيز للوعدة، حدثا هاما ومؤشرا مهما في نجاح الوعدة من عدمها، وفيها تظهر روح الجماعة وتوضع الذاتية جانبا ولو بعد حين.

❖ الاعلان الرمزي لبداية الوعدة:

يكون الاعلان عن بداية الوعدة بثلاثة أيام قبل موعدها، وتجري وقائعها في داخل الزاوية وتسمى هذه الشعيرة ب "'سلكة"، وهي ختمة القرآن وتكون بعد صلاة المغرب الى غاية الساعات الاولى من فجر اليوم الموالي، ويشارك في السلكة المريدين والاحباب ولمقدم، وكل من أراد تلاوة او الاستماع للقرآن، وعند صلاة العشاء تؤدى الصلاة جماعة داخل الزاوية ثم تقدم وجبة العشاء للحاضرين، ثم تستأنف التلاوة من جديد الى غاية الانتهاء وختم القرآن والدعاء الجماعي لكل المسلمين وللحاضرين ولمريدي ومحبي الطريقة وهي بمثابة الاعلان الروحي لبداية الوعدة. (وكان هذا حسب ملاحظتنا ومشاركتنا السلكة).

يتم الاعلان الرمزي لبداية الوعدة (حسب ما لاحظناه)، وفق طقوس وشعائر توارثتها الزاوية الطيبية من جيل لآخر، وهي بمثابة تعاليم صارمة، لا يجب التخلي عنها أو التهاون في احدى جزئياتها. وأول شعيرة يقوم بها المريديون وهي رفع "لعلام"، وهو علم الطريقة الطيبية باللون الاخضر ومكتوب عليه بخيط ذهبي "لا اله الا الله محمد رسول الله مولاي الطيب". ويقدم العلام من قبل

"شاوش" الى "لمقدم"، والذي يقوم بتركيبه في العمود المخصص لرفعه، ومكتوب عليه عبارة:" لا اله الا الله محمد رسول الله مولاي الطيب"، في جو يسوده الخشوع والتركيز مع ما يقوم به لمقدم، وبعدها تزغرد النسوة، لتضفي طابع الاحتفالية لهذه الشعيرة الطرقية، ثم يأخذ "لعلام" أحد المريدين المعروف عنه بالتزامه التديني، ويجوب بالعلم في وسط الحضور، وتغني الفرقة الفلكلورية بالصيغ المبجلة لله وللرسول ولمولاي الطيب.

وبعد هذا الحدث يبدأ مريدي الزاوية باستقبال الضيوف أي الفرق القادمة من مدن أخرى والمشاركة في الوعدة، في عرض فلكلوري مميز، اذ تكون فرقة الزاوية عند مدخلها تؤدي غناءها ورقصها بشكل جماعي ومرددين الصيغ المرحبة بالضيوف، وتأتي الفرقة الزائرة اليهم هي الاخرى في شكل عرض فلكلوري الى غاية وصولهم الى الفرقة التي تنتظرهم، وتشكل كل فرقة حلقتها الخاصة بها، وعند الانتهاء من العرض بالطلق الجماعي لكل فرقة على حدى، يتعانق أعضاء الفرقة فيم بينهم وتنصرف الفرقة الى وجهتها أي العائلة المضيفة لها للراحة والمبيت عنده، وتتوالى هذه العملية الى غاية وصول آخر فرقة. ويدوم العرض الى ساعات متأخرة من الليل أو الى الساعات الاولى من فجر اليوم الموالي. و(كان هذا حسب ما لاحظه البحث خلال الوعدة).

❖ طقس الزيارة:

ويقصد بالزيارة هي، الاموال المقدمة والمجموعة من مريدي الطريقة ومن مختلف المتبرعين على اختلافهم، سواء كانوا مريدين او غير ذلك. ويقسم مجموعها على ثلاث حصص، ثلث يخصص لزاوية سيدي بن عمر باعتبار انها طيبية الطريقة، والثلث الثاني يخصص للزاوية توات بعين تموشنت،

والثلث الاخر يخصص لشراء حاجيات ومقتنيات للزاوية، كالغذاء او الشاي والسكر. (حسب معاينة البحث).

❖ طقس الشمل:

ويكون هذا الطقس في حالة صلح بين فرقتين متخاصمتين وهو الجمع بينهما ولم شملهما وتجاوز خلافاتهما واصلاح ذات البين . اذ تقوم الزاوية بدعوة الاشقاء المتخاصمين وبحضور كبار وشيوخ الطريقة في الزاوية، وغالبا ما يكون هذا الطقس في الوعدة، من اجل تعزيز رابطة المحبة في التصوف بين مختلف فرق الطيبية.

❖ مسار الوعدة:

(حسب معاينة البحث لفصول مجريات الوعدة)، تجوب الوعدة مختلف شوارع مدينة عين تموشنت، فبعد استقبال الزائرين كما لاحظناه في عنصر سابق، تضرب لهم موعد لليوم الموالي من أقدس مكان في المدينة وهو ضريح الولي "سيدي سعيد"، وتكون نقطة التقاءهم في صبيحة اليوم الثاني، ويجوبون مختلف شوارع حي "سيدي سعيد"، ومبجلين في صيغهم مناقب الولي الصالح وأولياء الله عامة، وعند انتهاء العرض الفلكلوري بطلق جماعي، يتوجهون الى وسط المدينة مشيا على الاقدام، وفي الساحة المركزية للمدينة يؤدون عرضا آخر، وكل عروضهم تشهد اقبالا جماهيريا كبيرا من النساء والرجال والاطفال، وعند الانتهاء من العرض يتوجهون الي الساحة المقابلة للمقر الرئيسي للبلدية، اذ يقومون بنفس العرض الفلكلوري، وعند الانتهاء يعودون لمقر الزاوية من أجل توديع بعضهم البعض وعلامات التعب بادية على وجوههم. وتكون الساعة حوالي منتصف النهار، وتتجه كل فرقة لتناول وجبة الغذاء عند المحسن القائم عليها، وتغادر الفرقة المدينة، ضاربين لأنفسهم موعدا في السنة المقبلة.

وهذا هو مسار الفرق الفلكلورية المشاركة في الوعدة منذ قرنين من الزمن، تشهد فيها المدينة أجواء وعدة توات والتي يسمع كل سكان المدينة بها. (وهذا ما لاحظه البحث في مجريات دراستنا الميدانية).

8. المعاني التدينية للزاوية الطيبية بعين تموشنت:

ان الممارسات السلوكية لأعضاء الفرقة الطيبية تحمل الكثير من المعاني والرمزيات التي تعطي لفعلهم دلالات في المفهوم والمعنى، ومن جملة ما تحمله الطريقة الطيبية من آثار متوارثة بين مريدي الطريقة الطيبية ما يلي:

أ – الالتزام بالجماعة: وهو من المعاني الكبرى للطريقة الطيبية، ففي الجماعة تسهل عملية الالتزام بتعاليم وبمبادئ الطريقة من صلاة وأثر الاجداد، وتقوم المنافسة بين أعضاء الطريقة من عدم الخروج عن الطريق القويم والصحيح للطريقة، و بالجماعة يتحسن المستوى الأدائي لكل فرد من حفظ للصيغ الغناء وفي رفع مستوى التنسيق بين أعضاء الفرقة الفلكلورية من حيث الطلق الجماعي والموحد للبارود.

ب- **البـــارود:** يحمل البارود في معانيه، معنى الرجولة والقوة، فالمتمكن من حمل "لمكحلة"، يعتبر فارسا قادرا لحمل السلاح في وقت الشدة، وبالبارود يستقطب الجمهور عبر أحياء المدينة معلنين عن بداية وعدة توات، وبالبارود تقاس نسقية الجماعة، وبالبارود تحدد قيمة الفرقة ويعلوا اسم المدينة التي تفوقت فرقتها، وتزيد سمعتها بين مختلف فرق البلاد.

ت- **التضامن والتلاحم**: يترسخ معنى التضامن والتلاحم بين سكان المدينة والزاوية، من خلال تكفل جيران الزاوية بأطعام ومبيت فرقة او مجموعة منهم وكل حسب استطاعته المادية. بمختلف الطرق القادمة من مختلف المدن.

ث- **التعارف**: بين مختلف شباب المدن المشاركة في الوعدة، وما يترتب عنه تبادل للزيارات بينهم، والتعارف بين الاسر كذلك. الا انهم يتكفلون فرصة للالتقاء المريدين من مختلف المناطق فيم بينهم ، وتحديد وترتيب مواعيد الزيارة للزاوية المقبلة.

8.1. رموز الجانب الفلكلوري:

للرقصات الفرق الفلكلورية رموز ولها معانيها الخاصة بها وهي:

- ✓ **رقصة الصارة**: هي الرقص بالعصى وتمثل لرمزية الحرب.
- ✓ **رقصة التويزة**: هي رقصة تمثل التضامن والتكافل الاجتماعيين لأبناء المجتمع الواحد.
- ✓ **رقصة الحصرة** : وهي رقصة تقام للتآلف بين قلوب وارواح مريدي الطريقة الطيبية.
- ✓ **رقصة الطبل**: وهي رقصة الاستراحة وذكر الرسول ومدح اولياء الله الصالحين.

9. الخاتمة:

تعتبر ثقافتنا الشعبية خزانا مملوءا وثريا بالمعاني والرموز وكنموذج عن هذه المعاني الظاهرة الثقافية التي تتخذ من المعنى الديني دلالتها في تفسير ممارساتها الاجتماعية ذات الطابع الفلكلوري، وكانت حالة زاوية توات طيبية الطريقة بعين تموشنت موضوع ومجال دراستنا.

اذن فالزاوية المدروسة ، ومن خلال استعمال منهج الوصف الكثيف، والذي كنا من خلاله نركز على الجزئيات من اجل فهم الفكر والسلوك الثقافيين لمجموعة دينية، خصوصية عناصرها الطابع الفلكلوري ، اذ يعتبر الفلكلور هو محور رأسمالها الرمزي، وهو مركز الاعتقاد الديني لدى المريدين

الحاليين. ومعنى الفلكلور عند هذه الجماعة بمثابة الهوية الدينية، فقيمة الجماعة تتحد في ارتباطها بموروثها الديني بطابعه الفلكلوري، الذي يتواجد مع الجماعة ويرافق مختلف طقوسهم ومعتقداتهم المرتبطة بالوعدة.

ويتعدى المعنى الديني لزاوية توات الطريقة الطيبية الى ترسيخ ممارسات رمزية طقوسية ، تتمحور حول الفرقة الفلكلورية والتي تتخذ من الغناء والرقص واللعب بالبارود، مستويات للمعاني التدينية لهذه الجماعة الدينية. والتي تتخذ من التصوف الشعبي جوهرها وتأصيلها الديني.

ان الديناميكية التدينية لفرقة توات مولاي الطيب بعين تموشنت من الفرق الصوفية التي تحمل في ثنايا طياتها رموزا ومعاني، تلعب دور المحافظ على التأصيل التصوفي للطريقة من جهة، وتلعب دور الحارس على القيم المتوارثة ، فالعرض الفلكلوري ليس غاية للترفيه والترويح عن النفس، بل هو وسيلة لنقل الذات (الفرد) من ذاتيتها الى الانصياع والانسجام والانسياق وراء الجماعة الدينية، أي تفوق روح وجسد الجماعة على الذاتية والأنانية الفردية.

اذن فالرموز والمعاني والقيم المرتبطة بهذه الجماعة، هي معاني تدينية تابعة للطريقة الطيبية، تتخذ من جماعتها الفلكلورية وسيلة للتعريف وللنشر تعاليم الطريقة الطيبية بين مختلف مريديها وشيوخها.

ومن هنا نستنتج أن فضاء الزاوية هو فضاء خصب بالمعاني والرموز، وهو آلية للإنتاج المعاني والرموز ونشرها بين مختلف مريدي الطريقة، وتترجم هذه المعاني والرموز في شكل ممارسات، وتلقى

هذه الانتاجات الرمزية ترحيبا واقبالا عند مريديها، وهذا ما يعطي للطرق الصوفية وللزاوية معنى فضاء انتاج المعنى.

10. قائمة المراجع:

المـــراجـــع باللـغـــة العـربيـــة:

1- الزبادي, محمد، 2012، سلوك الطريق الوارية، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب.

2- بن خالد الناصري أحمد ، 1956 ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء.

3- بن الطيب القادري محمد، 1982، نشر المثاني ، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، مكتبة الطالب، الرباط.

4- ديل اكلمان، الاسلام في المغرب، ترجمة، محمد اعفيف، دار روية، القاهرة، 2015.

5- سعد الله ابو القاسم ، 1998، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، 1500-1830، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت.

6- عبد الله حمودي، 2000. الشيخ والمريد –النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة- ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال، الدار البيضاء, المغرب.

الرسائل الجامعية:

الطالبة فراح زينب، 2011/2010 ، إشراف: - أ.د العايدي عبد الكريم، **الزيارة النسوية للأضرحة** مقاربة أونتروبولوجية بضريح سيدي قادة بن المختار بولاية معسكر، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران.

المراجـع باللغـة الفـرنسيـة:

1. Andezian(S.), 2001, *Expériences du divin dans l'Algérie contemporaine- Adeptes des saints de la région de Tlemcen*, Edit. CNRS, Paris .
2. BELLIL (R), 2003. ksour et saints du gourara : dans la tradition orale, l'hagiographie et les chroniques locales, par :, mémoire du CNRS, CNRPAH , ed, ENAL, Reghaia
3. Boubrik (R.), 1999, *Saints et société en islam : la confrérie ouest saharienne fadiliyya*, Edit. CNRS, Paris.
4. Clifford (G), 1992, *Observer l'islam*, La Découverte *: changements religieux au Maroc et en Indonésie,* traduit de l'anglais par Jean-Baptiste Grasset, Ed. La Découverte, Paris.

5. Depont (O), Coppolani (X), 1897 Les confréries religieuses musulmanes, Ed. Typographie et lithographie Adolphe Jourdan, Alger.
6. Maurice (A), 1997, *Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines*, Ed.Casbah université, Alger,
7. Mouhtadi(N), 1999. Pouvoir et religion au Maroc, essai d'histoire politique de la zaouïa, Ed. Eddif, Casablanca.

Revues :

1. Clifford (G), La description dense Vers une théorie interprétative de la culture, Traduction de André Mary, https://journals.openedition.org/enquete/
2. FILALI (K), 1997 sainteté maraboutique et mysticisme, « contribution à l'étude du mouvement maraboutique en Algérie », in revue insaniyat n^0 03, CRASC , Oran ,